سيدي الرئيس، هذا ما أدين به تجاه مدير ديوانكم المخالف جداً عن صورتكم...

بدأ تاريخي مع نظامكم قبل أن يتم انتخابكم رئيساً للجمهورية. أنتم تعرفونني، و ليس من الضروري تذكيركم بالتزامي بمساندة ترشحكم حتى قبل أن يكون محتملا. لقد قدمتكم على الأقل بوصفكم بخصلة أساسية تجعلكم مختلفا عن عزيز، الجاحد بامتياز، ألا وهي: الولاء. البقية تعرفها النخبة الناطقة بالفرنسية والمزدوجة: لقد قمنا بحملة من أجلكم بينما كان عزيز لا يزال قوياً ولم تدخر شبكاته كلها أي جهد في تقديمكم كرئيس غير قادر على الحكم، غير مؤهل لأسمى وظيفة في أعلى هرم الدولة بدواعي زائفة كعدم وجود كاريزما وحياة خاصة قدمت خطأ على أنها منفرة.

إن السنوات الكيسة التي قضيتموها كقائد للأركان العامة للقوات المسلحة بدون فضيحة مالية مقارنة مع حصيلة عشر سنين من لصوصية عزيز انتهت بقذف الشائعات وسرعان ما فهم الجميع من غالبية القوى السياسية والمدنية وسلطة ومعارضة، أنه سينتهي معكم عهد الوحشية النفسية.

اتصل بي خلال الحملة فريق الاتصالات الخاص بكم في إيطاليا للانضمام إليهم علما بأنني كنت في حملة من أجلكم دون أن أعرفكم، ما دمت على يقين بنجاحكم لقد أخبرتهم بموافقتي من حيث المبدأ على شرط أن أتحدث إليكم قبل الانضمام إليهم. لقد وعدوني دون جدوى لأنه وإلى حد الساعة لم يحدث شيء. لذا، دون أدنى ضغينة، تابعت حملتي بمفردي من غير أن أتجنب بين الفينة والأخرى فريق الاتصالات الخاص بكم لما أشعر بأنهم يستطيعون تفادي بعض الثغرات.

بعد ذلك انتخبتم وعدت أنا إلى ايطاليا للانضمام إلى زوجتي وابنتي في ديسمبر 2019. لطالما كنت دائمًا إلى جانبكم عبر مقالاتي لمجرد اعتقادي أن إضاءة أو خط دفاع يمكن أن يكون أمرا مفيدًا لكم. بعد ذلك، تم الاتصال بي من قبل مستشارة رئيس الوزراء السابق الذي عرض علي العودة لأكون مستشارا له. أعطيته موافقتي من حيث المبدأ ولكن طلبت مدة شهرين إلى ثلاث لتسوية شؤوني في إيطاليا. ثم جاء اجتاح الكوفيد إيطاليا، وأوقفت الخطوط المغربية طائراتها من عشية لضحاها 10مارس، قبل يومين من مغادرتي إلى نواكشوط.

لقد تقطعت بي السبل في إيطاليا لعدة أشهر ولألا افقد الوظيفة، أخذت رحلة على متن الخطوط الجوية الفرنسية في نهاية يوليو. أسبوع قبل موعدي مع رئيس الوزراء، غيرت الحكومة وتم استبدال إسماعيل. قررت مغادرة نواكشوط حيث لم يعد لي ما أفعله. مستشارة رئيس الوزراء التي لا تزال في منصبها طلبت مني أن أنتظر وأنها ستتحقق من نية رئيس الوزراء الجديد تجاهي حسب قولها. رفضت الاقتراح لأنه ما من بد للانتقال من رئيس وزراء إلى آخر دون سابق معرفة لذلك الشاب الذي تمت ترقيته إلى رئاسة الحكومة. أردت أن أكون في خدمة رجل ذي خبرة و يعرفني جيداً.

بعد أسبوع، اتصلت بي لتخبرني أن أحد وزرائكم الأقوياء، صديق قديم لي، أراد مقابلتي. نظرا لواجباته السابقة، وملفه النفسي، ومسؤولياته الحالية والتقارب العاطفي منكم، قبلت دون تردد لأنه بعد أن أغادر بالفعل للعمل كمستشار لرئيس الوزراء السابق كنت قد عبرت الروبيكون.

في حضور المستشارة، الذي أصبحت صديقة، تحدثنا طويلا، حوالي ساعتين. سألني الوزير القوي بأي شكل أريد أن نتمكن من العمل بانسجام تام في خدمة مشروعكم السياسي حتى يتعافى البلد. أعفيكم تفاصيل مقابلتنا. قال إنه من الأمر البناء أن أكون مستشارا لكم. ووعدني أنه سيتصل بي في الساعة 10 مساءً في شهر أغسطس 2020 بعد الحديث معكم. وكان ذلك، مع تأكيد موافقتكم. ذات أربعاء في ذات الشهر أعطاني موعدا السبت الموالي ليقول لي ما يجب القيام به.

بعد جمباز نفسي طويل، وعدة مواعيد، والكثير من الرسائل الخاصة التي تؤكد لي أن البلاد بحاجة إلى دماء جديدة وأن الاقتراح قد تم اتخاذه، كان علي أن أعترف بأن هناك انسدادا مفاجئا في الرئاسة. وحتى عندما طلبت منه التخلي عن الاقتراح لأنه من الواضح أن الرئاسة كانت تعرقله، ظل الوزير يقول إنه ليس قلقاً وأن الأمر سيتم قريباً، ولا يمكن لأحد أن يفعل شيئاً حيال ذلك.

لقد فهمت أن الأمر قد تمت عرقلته من قبل شخص ما من حولكم أقوى من الوزير الذي تعاملت معه. بما أنني لست من أولئك الذين تتم مضايقتهم بهذا النحو دون معرفة من الذي سدد ضربة في الظهر. ففعلت ما بوسعي لأتمكن، بواسطة شخصيات أخرى عالية في الدولة، لتنبيهكم حول هذه القصة التي ما كانت لتحدث لولا كلمتكم إلتزم بها احد وزرائكم المقربين. لذا، بعد شهرين تلقيت مكالمة هاتفية تخبرني أنه يجب أن أذهب إلى الرئاسة على الفور.

وهكذا استقبلني مدير ديوانكم الذي أحترم ذكائه وصراحته مع التزامه بالمسافة اللائقة. لم أكن أعرف أنه كان عربياً مثالياً لا يعرف اللغة الفرنسية. لذا عليكم أن تتصوروا المقابلة الباروكية التي جرت بين عربي وفرانكفوني ذي لهجة حسانية لا تعادل رقي ديماني. و الأمر جلي. تحدثنا لمدة ساعة أو أكثر. ومن الواضح أنه لم يكن يعرف مع من يتعامل، ما عدا بعض المعلومات الهزيلة تمكن من جمعها عن طريق هاتفه العربي.

بقدر ما كان الوزير الذي عرض عليّ العمل معكم يعرف بالضبط من أكون، من الواضح أن هذا الرجل لم يكن يعرف عني شيئا ذا أهمية. لقد عقدنا اجتماعا وديا، ثم أثار دهشتي اقتراح لا أستطيع أن أذكره مضمونه هنا. رفضت أن أقوم بعمل لم أقم به طول حياتي بذات الدوافع. في نهاية المطاف، فهم أنني لست صحفياً على غرار تلك الصحافة العربية المألوفة لديه. ثم أخذ بطاقة عملي مؤكداً لي أنه سيتصل بي فيما بعد.

رافقني من خلال التأكيد لي بالحسانية، بحدة نظرة وزير داخلية سابق، أن نظرة في عيني جليسه تكفيه لمعرفة مع من يتعامل قبل أن يختم قائلا: "مانك مول مشاكل". ابتسمت وذهبت واثقاً.

أخبرتني الشخصية الرفيعة المستوى في الدولة التي نبهتكم حول هذه القضية أنه وفقاً لأصداء لديها، كانت المقابلة إيجابية. ثم، ما يقلقني هو أن مدير ديوانكم لم يعطني أي رقم للاتصال معي حتى من خلال أحد سكرتيراته أو سكرتيرات الديوان. أكدت لي البقية ذلك لأنه بعد عدة أشهر ما زال لم يكن لدي أي اتصال مع مدير الديوان وكان علي أن ألجأ إلى ذلك الموظف السامي لفترة طويلة للوصول إليه. انتهى بي الأمر بإخبار هذا الرجل اللطيف أنني أرفض اللجوء إليه دائما للاتصال إلى مدير الديوان. كما أنه من غير اللائق الاختباء وراء مثل هذه الشخصية السامية في هرم الدولة.

نحن اليوم في 23 فبراير، أي سبعة أشهر منذ اقتراح الوزير الذي أكد لي ساعتها موافقتكم. لم يتصل بي ثانية مدير الديوان الذي أراد التخلص مني بطريقة عربية. وأذكر أنني لست من طلب منصبا أو أي شيء، بل المتعاونون حولكم وعلى أعلى مستوى ممن يعرفون كم كنت مؤيداً لبرنامجكم السياسي دون أن أطلب أي شيء على الإطلاق.

لذلك أدعوكم إلى التحكيم الخاص باسم الولاء الذي آمنت به ولا أزال من أجل إصلاح الأخلاق المتغطرسة لمدير ديوانكم الذي لديه نزاع شخصي فريد مع التاريخ الاستعماري لهذا البلد. في نظره، أنا مجرد فرانكفوني وأمام حجمه القبلي، لست بالتأكيد سوى مجرد حرطاني من بوتيليميت. ويبدو أنه يعتقد أن الحديث بالفرنسية يعني أن أكون مملوك فرنسي كما يبدو أن قوميته تتوقف عند ممسحة أبواب البلدان العربية الشقيقة الغنية.

كل قرائي على علم أنه ليس لدي أدنى مشكلة مع اللغة العربية و يؤسفني عدم إتقانها على غرار رئيس المجلس الدستوري ووزير الاقتصاد على سبيل المثال لا الحصر. كما هو أمر بعض الشخصيات رفيعة المستوى في الدولة. أنا أؤيد اللغة العربية كلغة رسمية كما أؤيد مضاعفة وسائل التعليم لتكون متاحة مجانا للشباب والكبار ولكن لم أختر أن أكون ناطقا بالفرنسية مثل جزء كبير من السكان و من جيراننا المباشرين. هذا من بقايا الاستعمار والتاريخ. أما وقد قلت ذلك، فإنني فخور به وأعرب عن تأييدي لازدواجية غير معقدة.

كيف يمكن لمدير ديوان رئيس دولة في غرب أفريقيا تقع بين المغرب العربي والجماعة الاقتصادية لدول غرب أفريقيا أن يغضب من الفرانكفونيين؟ لو اعتنى فقط بشؤون العالم العربي لكان الأمر بناء لكنه يتجاوز كفاءته بالاهتمام دون دراية بشؤون الفرانكفونيين بإفساد مبادرات وزير أدرى منه بما تحتاجونه من متعاونين في خدمة موريتانيا تعددية.

وفي انتظار تحكيم عادل في مواجهة هذه القضية المؤلمة، أتوسل إليكم أن تصدقوا أنني لا زلت وفياً لآمال السياسة السلمية التي تجسدونها.

مع فائق الاحترام.

مترجم من الفرنسية إلى العربية

أحمد ولد سويدأحمد (www.chezvlane.com)